الإسلام دين الحياة والسلام

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي القاري الكريم - وفقك الله - اعلم أن الإسلام دين الحياة، ولذلك ترى أنه أكد على الحفاظ على الحياة الإنسانية من التضييع والتلف، وحرم قتل النفس بدون سبب أشد تحريم، وعظم أمره تعظيما، وعد قتل النفس بدون سبب شرعي من أقبح الذنوب وأعظمها بعد الإشراك بالله تعالى، وإن زوال الدنيا وفناءها أهون من قتل النفس بغير حق في نظر الشريعة الإسلامية.

إذا قرأت كتاب الله تعالى رأيت أن الله جل وعلا شنع قتل النفس بغير نفس أو سبب وقبحه وعظمه في مواطن كثيرة من كتابه العظيم مثل قوله: {من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا} [١]

تدل هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على تعظيم وتشنيع قتل النفس بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، وأن من قتل نفسا واحدة حرمها الله فهو مثل من قتل الناس جميعا، ومن حرم دم إنسان فكأنما حرم دماء الناس جميعا.

وتوعد الله تعالى من قتل المؤمن متعمدا بالنار قائلا {ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما} [٢]

وقال تعالى ناهيا عن قتل الأولاد خوف الافتقار: {ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطأ كبيرا} [٣] وقال ناهيا عن قتل

---

[١] سورة المائدة: ٣٢

[٢] النساء: ٩٣

[٣] بني إسرائيل: ٣١

النفس بغير نفس أو سبب: {ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل، إنه كان منصورا} [١]

هكذا تكرر حديث النهي عن قتل النفس بغير سبب في القرآن الحكيم، فالإسلام قد حفظ وصان بذلك حياة الإنسان من الضياع والتلف، لا تجد منهجا ولا شريعة ولا نظاما من نظم الأرض اعتنى بصيانة حياة الإنسان مثل دين الإسلام، مهما بلغت النظم والمناهج الوضعية أوج الكمال والعلى والبهاء والروعة والجودة والأناقة...

ونظرا إلى الاعتناء العظيم بالحياة الإنسانية وحفظها من الضياع والهلاك وضع الله جل وعلا العقوبة الرادعة لكل من باشر قتل النفس بغير سبب شرعي فقال: {ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، توبة من الله} [٢]

وأعلن القرآن بكل صراحة أن في القصاص حياة لقوم يعقلون: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون} [٣] وفرض الله تعالى شريعة القصاص في القتلى، فأوجب القود على الجاني فقال: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى} الآية [٤]

فقد حفظ الله سبحانه وتعالى حياة الإنسان بتشريع هذا القصاص الذي لا يضمن لحياة فرد فحسب، ولا لحياة أسرة، ولا لحياة جماعة، بل لحياة مطلقة.

يقول سيد قطب: "وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم، فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها، واعتداء على كل إنسان حي، يشترك مع القتيل في سمة الحياة، فإذا كف القصاص الجاني عن إزهاق حياة واحدة، فقد كفه

---

[١] بني إسرائيل: ٣٣
[٢] النساء: ٩٢
[٣] البقرة: ١٧٩
[٤] البقرة: ١٧٨

عن الاعتداء على الحياة كلها، وكان في هذا الكف حياة، حياة مطلقة. لا حياة فرد، ولا حياة أسرة، ولا حياة جماعة... بل حياة". [١]

أخي في الله! إذا قرأت السيرة النبوية العطرة - على صاحبها أفضل الصلوات وأيمن البركات - في كتب السيرة والحديث رأيت أن الرسول صلى الله عليه وسلم عظم أمر قتل النفس بغير سبب شرعي، وشدد وغلظ فيه، وقرره من الجرائم النكراء والجنايات الشنعاء، وجعله من أقبح الذنوب وأعظمها بعد الإشراك بالله كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قال: قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. الحديث[٢]

فعد الرسول صلى الله عليه وسلم قتل النفس بغير حق من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله في الحديث المتقدم.

وكذلك تجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه عد قتل النفس التي حرم الله من أكبر الكبائر في الحديث الآخر كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر؟ أو سئل عن الكبائر، فقال: الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين...الحديث. [٣]

لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاثة أحوال. كما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة''. [٤]

وكذلك ترى أنه صلى الله عليه وسلم أكد على تحريم الأموال والدماء والأعراض وشدد، كما في صحيح مسلم عن أبي بكرة قال في حديثه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا

---

[١] في ظلال القرآن: ١٦٦/١

[٢] ٦٣، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب الخ.

[٣] ٦٤/١، باب الكبائر أو أكبرها.

[٤] ٥٩/١، باب ما يباح به دم المسلم.

أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا...الحديث. [١]

وهكذا ترى أنه صلى الله عليه وسلم شدد في تغليظ تحريم الدماء والأموال والأعراض في حديث آخر أيضا كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى الصدر ثلاث مرار، بحسب امرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه". [٢]

وترى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنكر على صحابي من أصحابه – رضي الله عنهم – حين بلغه أنه قتل رجلا من الكفار بعد ما قال: "لا إله إلا الله" إنكارا شديدا كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن أبي شيبة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي في ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته، قال: قلت يا رسول الله! إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فمازال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ...الحديث. [٣]

وصح أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن زوال الدنيا أهون من قتل امرئ مسلم أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وكذلك صح أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوما بين يدي الكعبة المشرفة فقال: "إن حرمة دم امرئ مسلم أعظم من حرمتك". أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

[١] ٦٠/٢، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

[٢] ٣١٧/٢، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره الخ.

[٣] ٦٨/١، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله.

فقد تبين مما تقدم من نصوص الكتاب والسنة واضحا جليا أن الإسلام اهتم بحفظ الحياة اهتماما بالغا، وندد بالقتل وشدد في ذلك تشديدا، وعده من الجرائم النكراء والجنايات الشنعاء، بل جعله من أكبر الكبائر.

ومن هنا تستطيع أن تقول بغير تردد أن الإسلام دين الحياة والسلام، لا تجد له نظيرا ولا مثيلا في مناهج الأرض جمعاء.

أخي في الله! إنك لا ترى أدنى اهتمام واعتناء بحفظ حياة الإنسان في ديانات العالم جمعاء، ترى في العصر المعاصر الذي تعيش فيه، عصر التنور والتقدم والتطور والتكنولوجيا أن دم الإنسان أصبح أدنى وأرخص من جناح البعوض والبق اللتين هما أصغر وأحقر الحيوانات، ولذلك ترى أن حادث القتل وإراقة الدماء في الأرض بغير سبب يحدث كثيرا جدا حيث لا يحصيه العاد، حتى بلغ الأمر إلى أن القتل وإزهاق النفوس الزكية في هذا العصر أكثر وقوعا من ذبح الثيران والأبقار، والشياه والتيوس، بينما ترى أن الإسلام حرم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وشنع صنيعه وندد فعله وشدد وحفظ الحياة من الضياع والهلاك بنهيه عن إزهاق النفوس البريئة والأرواح والنسمات الزكية حفظا كاملا.

والذي يدرس العهد النبوي الميمون يرى مثالا واضحا لذلك، فحادث القتل وإزهاق النفوس البريئة وسفك الدماء لم يقع في العصر النبوي الزاهر إلا يسيرا حقيرا. مع وقوع الحروب الطاحنة والمعارك الدامية والغزوات المتعددة في ذلك العصر... وذلك لأن الجيش الإسلامي - وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - كانوا يعرفون جيدا أن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حرما قتل النفس بغير سبب شرعي، وأن القاتل يدخل النار.

❖❖❖